سيرة إبراهيم بن أدهم في العصر العثماني

دراسة في مخطوط «الروض النَّسِيم» لابن سِنَان القَرَماني (ت: ١٠١٩هـ/١٦١١م)

د. عبد الرزاق محمد عبد الرحمن (*)

ملخَّص:

تقوم هذه الدراسة على بحث استقبال الصوفية المتأخرين لسيرة إبراهيم بن أدهم، وعلى الموازنة بين حياته التاريخية وما نسج حول اسمه من أساطير متنوعة الروافد والمؤثرات، وكان حاصلها أن تحول إبراهيم وليًّا شعبيًّا أعز ملكًا على الموجودات من السلطان الذي انخلع منه، واتسعت الأسطورة حتى شملت أباه وجده، وابنه ووالدته، وحتى جعلت إبراهيم يطوف البلاد ويفتح المدائن، ويَهْدي ملوك السند وقبرص، فصار بذلك أشبه شيء بالأبطال الشعبيِّين الذين يروي القوَّالون سيرهم في جموع العامة. وهناك ما يكفي من الشواهد على أن «إبراهيم المتخيَّل» هذا إنما ظهر في الأناضول وآسية الوسطى، وتأثرت الحكايات المصنوعة عليه بما كان يتداوله أهل تلك الأقاليم في موروثاتهم الشعبية الرائجة. وتأمل هذه الدراسة أن تسهم في تجلية هذا الجانب من تصوف العصر العثماني، وكيف جرى فيه استدعاء رجال الصدر الأول على غير ما يرويه التاريخ عنهم، وخلاف المعهود من أحوالهم ومنازعهم.

كلمات مفتاحية: إبراهيم بن أدهم، الروض النسيم، الطِّراز المُعْلَم، التصوف الشعبي

(*) مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة.

Abstract: This study, entitled "The Late Sufi Perception of Ibrāhīm ibn Adham: A Study of *ar-Rawḍ an-Nasīm* by Ibn Sinān al-Qaramānī (d. 1019 AH / 1611 CE)", investigates how later generations of Sufis received and reimagined the life of Ibrāhīm ibn Adham. It compares his historical biography with the legends that gradually developed around his name—legends shaped by diverse sources and influences. These narratives ultimately transformed Ibrāhīm into a popular saint whose spiritual authority surpassed the worldly sovereignty he had renounced. The legend expanded to encompass not only Ibrāhīm himself but also his father, grandfather, son, and mother. It portrayed him as a wandering figure that traveled across regions, opened cities, and guided the rulers of Sind and Cyprus to the path of righteousness. In this way, he came to resemble the folkloric heroes whose epic lives are recounted by traditional storytellers before crowds of common people.

There is ample evidence to suggest that this imagined version of Ibrāhīm first emerged in Anatolia and Central Asia, where the tales attributed to him were shaped by local traditions and popular folklore. This study aims to shed light on this aspect of Ottoman-era Sufism and to explore how early Islamic figures were reappropriated in ways that diverge from the conventional historical accounts of their lives and the typical patterns of their spiritual paths.

Keywords: Ibrāhīm ibn Adham, *al-Rawḍ al-Nasīm*, *al-Ṭirāz al-Muʿlam*, popular Sufism

تمهيد:

ترجع أهمية دراسة السيرة المتأخرة لإبراهيم بن أدهم إلى أنها مثال لثلاثة مسارات بحثية، ربما لم تصرف إليها عناية علمية وافية: أحدها- تمثلات التصوف في الخيال الشعبي والتراث الحكائي العامي: فكرًا وتجربةً وأعلامًا، والثاني- استدعاء المتقدِّمين من رجاله في العرفان النظري المتأخر وإعادة تشكيل صورتهم فيه، والثالث- سِيَر الأمراء التوَّابين، الذين خلعوا عنهم مُلْكَهم فجُوزُوا بمُلْك كونيٍّ فسيح، وما عسى أن تُسْفِر عنه دراسة تاريخهم وآدابهم من خصائص وسمات، يقع «الروض النسيم» عند ملتقى كلِّ ذلك؛ فيُرْجَى منه لذلك أن يثير العناية العلمية بهذه النواحي من تاريخ الحياة الروحية في الإسلام.

ويجري البحث في ذلك على منهج تحليلي وصفي، بقصد الكشف عن مكونات سيرة إبراهيم المتأخرة، وعناصرها التي تتألف منها: من حيث الوقائع والمرويات، مع شيء من الموازنة بينها وبين المعروف من سيرة إبراهيم التاريخية كما حفظتها المصادر الأولى لتراجم الصوفية المسلمين.

من أجل ذلك انقسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث: - يعرض **الأول** منها خلاصة مجملة عن سيرة إبراهيم من مصادرها التاريخية والصوفية المتقدمة، - ويقدم **الثاني** تعريفًا بكتاب الروض النسيم: تصنيفًا ونقلًا إلى العربية والأصول الخطية له في خزائن المخطوطات، - وأما **المبحث الثالث** فيلخِّص محتوى الكتاب من حيث عموم الإطار الحكائي له الذي يشمل السير الثلاث: للسلطان أحمد، وولده أدهم، ثم الحفيد المقصود بالسيرة أصالة: إبراهيم بن أدهم.

المبحث الأول
خلاصة السيرة التاريخية لإبراهيم بن أدهم

كانت خراسان قد فتحت في عهد الراشدين، واستقرَّ في كُورها الفارسية طوائفُ من عرب القبائل، ويجوز أن يكون منهم جد إبراهيم أو أبوه، ويجوز أيضًا أن يكون أحدهما قد ولي شيئًا من بلداتها، فصار له نصيب من معنى الإمارة، وإن كان هذا لا يكاد يُعْرَف من غير طريق مؤرّخي التصوف أو من اعتمد على روايتهم، وإنما المعروف عن أبيه أنه من جملة رواة الحديث ، وأن ولده إبراهيم من المتحمِّلين عنه، وقلَّ أن يجمع امرؤ بين الرواية وسياسة الملك معًا. والقَدْر المأمون، الذي يمكن الركون إليه، أن أباه كان من وجوه الناس المياسير، وأن إبراهيم نشأ في سَعةٍ وثراء؛ فكان تخلِّيه عن دنياه هذه، واختياره أن يكون «فقيرًا» صوفيًّا، مدعاة للمتأخرين إلى استكمال سيرته بخيال أدبي نبيل، يكافئون به نبالة نفسه وصدق إيثاره ما عند الله وانقطاعه إليه. وقد يكون في ما قاله ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) مخرج من هذا الاضطراب في حال أبي إبراهيم وأسرته القريبة، فإنه قال في رحلته عند الكلام على جبلة: «لم يكن إبراهيم من بيت ملك كما يظنه الناس، إنما ورث الملك عن جده أبي أمه، وأما أبوه أدهم فكان من الفقراء الصالحين، السائحين المتعبدين، الورعين المنقطعين»[١]. وسيأتي أن السيرة الشعبية التي جعلت جده لأبيه ملكًا قد التبس سردها الحكائي عند الكلام على عودة أدهم إلى المُلْك، ولم تفسِّره تفسيرًا واضحًا.

ومهما يكن من شيء، فإبراهيم رجلٌ عربيٌّ، نسبُه في عِجْل أو تميم، وتضاف إليه هذه النسبة في المصادر فيقال له فيها: «العِجْلي» أو «التميمي»، نشأ في بلخ من أرض خراسان، وينسب إليهما أيضًا فيقال له: «البلخي» على الأشهر، و»الخراساني» على قلة[٢].

---

[١] رحلة ابن بطوطة، ط. أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، جـ١ ص٢٩٠

[٢] انظر- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ٦ ص٢٧٧؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٩٨٠-١٩٩٢م، جـ٢ ص٢٧؛ البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط. الأولى، ١٤١٧-١٤٢٠هـ ، جـ١٣ ص٤٩٤؛ المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار =

غادر إبراهيم خراسان مطوّفًا في نواحي العراق والشام، وروى المفضل الغلابي عن أبي محمد اليمامي أنه إنما هرب مع جَهْضَم اليمامي من أبي مسلم صاحب الدعوة[١]، وكذلك أسند أبو نعيم عن عبد الله بن المبارك أنه قال: «خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم من خراسان ونحن ستون فتى نطلب العلم»[٢]؛ فقد يؤخذ من هذا أن خروج إبراهيم من خراسان كان حول سنة ١٣٢هـ؛ فيكون حينئذ في نحو الثلاثين من عمره.

ومما يؤسف له أن هذا القول في الصلة بين إبراهيم والدعوة العباسية الأولى ليس له تفصيلٌ في المحفوظ من سيرته، وإن كان يساعد عليه أنه كان من وُجَهاء الناس وسَرَاتهم، أو كانت أسرته على حظٍّ من الإمارة، وهي يومئذ لا تكون إلا أمويَّة، وخراسان موطن الدعوة إلى العباسيّين على رأس المائة الثانية إلى نحو ثلاثة عقود منها؛ فهو وآل بيته في موقع الخصم منها، الساعين في القضاء عليها، ولا أقلَّ من الإعراض عنها والامتناع عن إجابة الدعاة إليها، فلما قدِّر الظفر لأبي مسلم واستبد بخراسان وما حولها خرج عنها إبراهيم خوفًا على نفسه، وقد جاء عن رفيقه ابن المبارك أن أبا مسلم كان يحمل الناس، كبارًا وصغارًا، على لبس السواد الذي هو شعار العباسيّين، وكان يتذكَّر ذلك فيقول: «أذكُر أنِّي لبستُ السَّواد وأنا صغيرٌ عندما خرج أبو مسلم»[٣].

وفي المأثور عن إبراهيم أنه كان يكره مفارقة موطنه، وأن نفسه لم تزل تنازعه إليه، فيقول: «عالجت العبادة، فما وجدت شيئًا أشد عليَّ من نزاع النفس إلى

=الغرب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، جـ١ ص٣٣؛ ابن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣-١٩٧٤م، جـ١ ص١٣؛ سير أعلام النبلاء، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٧ ص٣٨٧

[١] انظر- المزي: تهذيب الكمال، مصدر سابق، جـ٢ ص٢٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٧ ص٣٨٨. وجهضم هو ابن عبد الله اليمامي، مولى قيس بن ثعلبة، وأصله من خراسان، قال عنه البخاري في «التاريخ الكبير» طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، بمراقبة محمد عبد المعيد خان، د. ت، جـ٢ ص٢٤٧، برقم ٢٣٥٠: «هرب من خراسان زمن أبي مسلم إلى اليمامة»، ولعل «المعية» في رواية المفضل هي اتفاقهما في الخروج من خراسان في جملة من فارقها عند غلبة أبي مسلم عليها، لا المعية الشخصية بينهما

[٢] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ط. السعادة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، جـ٧ ص٣٦٩

[٣] انظر- ابن عساكر: تاريخ مدينة السلام، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ١١ ص٣٩٠

الوطن»، أو يقول: «ما قاسيتُ فيما تركتُ أشدَّ عليَّ من مفارقة الأوطان»[١]، فكأنه إنما فارقه أول مرة ثم بقي على فراقه سائر حياته كارهًا أو مكرهًا، وربما يصلح أن يضاف إلى هذا ما رواه صاحب «الحلية» أن إبراهيم أيام مقامه في فلسطين مرَّ به جيش متوجّه إلى مصر فقطع حبلَ الدَّلْو لئلَّا يَسْقِيهم، ولمَّا سألوه عن الطريق «تخارَسَ» حتى لا يكون دليلًا لهم، وهو مسلكٌ غريبٌ ليس في الرواية ما يشير إلى حقيقة مقصوده منه[٢].

ولعلَّ هذا يفسِّر أيضًا أن إبراهيم لم يُلْقِ عصاه ولا اطمأن مقامه في شيءٍ من بلدات العراق أو الشام أو الحجاز، وإنما حياته في جملة الروايات، لاسيما المتأخرة منها، حياة ترحال وتستر في أغمار الناس، بمعزل عن التصدُّر والظهور، وإن كان الغالب عليه التنقل في الثغور الشامية.

أما الرواية الصوفية في تحوُّل إبراهيم من حياة الترف أو الإمارة إلى الزهد والتعبد فهي على وجُوه:

أشهرها ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته»، واعتمده القشيري في «رسالته»، وأسنده السلمي عن إبراهيم بن أدهم نفسه من طريق خادمه إبراهيم بن بشار، أنه خرج يطلب صيدًا فسمع هاتفًا من قربوس سرجه يقول: «والله، ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت!»[٣].

ويذكر بعض المتأخرين أن إبراهيم سمع صوت سائرٍ على سطح قصره، فقال: من؟، فجاءه الجواب بأنه رجل ينشد ضالته فوق السطح، فتعجب إبراهيم من جاهل يلتمس ناقته فوق سطوح الدور، فقيل له: كما أنك يا غافل تطلب معرفة الله في ثوب من حرير على سرير من ذهب!؛ ففطن إلى الإشارة، وعزم على ترك سلطانه[٤].

وينقل الخوانساري، في جملة روايات توبة إبراهيم، أنه كان يومًا على ظهر فرسه فسمع صوتًا من فوقه: «ثبى ٱبخ بم بهِ تج تح تخ تم تهثى اتق الله، وعليك

---

[١] انظر- الأصبهاني: حلية الأولياء، مصدر سابق، جـ٧ ص٣٨٠

[٢] انظر: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٧٩

[٣] السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٩-٣٠، وانظر: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م، جـ١ ص٣٥

[٤] انظر- العطار: تذكرة الأولياء، تعريب محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٢٨-١٢٩؛ الخوانساري: روضات الجنات، طهران- قم، مكتبة إسماعيليان، ١٣٩٠هـ، جـ١ ص١٤٤، وناشد الضالة هاهنا هو الخضر |

بالزاد ليوم القيامة»، وينقل كذلك أن إبراهيم نظر يومًا إلى فقير في ظل قصره، أخرج رغيفًا فأكله ثم شرب جرعة ماء، واطمأنَّ نائمًا؛ فهانت الدنيا في عينه، وانتبه من رقدته وأخذ يتفكَّر في نفسه[١].

ورواية أخرى ينقلها صاحبُ «الروض النسيم»، وهي أن إبراهيم خرج للصيد فأصاب رأسَه حرُّ الشمس، فآلمه لما كان فيه من النعمة؛ فتذكر به عذاب النار، وأضمر في نفسه التوبة والخروج مما هو فيه.

وأيًّا ما كان الأمر، فإنه يقع في المرويات عن إبراهيم ذِكْر لرجل يقال له «حميد بن جابر»، مرَّ إبراهيم بقبره في الصحراء مع خادمه ابن بشار، فترحَّم عليه وبكى وقال: «هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غَرِقًا في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها واستنقذه»، وحكى من أمره أنه أعجبه ملكه في بعض الأيام فرأى في منامه رجلًا واقفًا عند رأسه فناوله كتابًا فيه موعظة من الله، فانتبه فزعًا وخرج مما كان فيه وانقطع في بعض الجبال للعبادة، قال إبراهيم: «فلما بلغني قصته وحُدِّثت بأمره قصدتُه فسألتُه فحدَّثني ببدء أمره وحدَّثته بأمري، فما زلت أقصده حتى مات ودفن هاهنا، وهذا قبره $»[٢].

وكذلك حكوا، من بعد، عن أبي الفوارس شاه الكرماني (توفي قبل سنة ٣٠٠ هـ) أنه «كان من أولاد الملوك»[٣]، وعن أبي العباس السيَّاري (ت: ٣٤٢هـ) أنه كان من بيت علم ورياسة، «ولم يكن أحدٌ من أهل مرو يتقدَّم على أهل بيته في الجاه»[٤]، وسنرى محيي الدين بن العربي يذكر حال إبراهيم بن أدهم في الذين تركُوا الدنيا عن قُدْرةٍ، ثم يقُول: «وكان بعض أخوالي منهم، كان قد ملك مدينة تلمسان، يقال له: يحيى بن يغان»[٥]؛ فللأمراء الزهاد، إذًا، سِيَرٌ جديرة بالتتبُّع في تاريخ العُبَّاد في الإسلام.

اشتغل إبراهيم برواية الحديث، وعلى طريقه من خراسان إلى العراق والشام

---

(١) انظر- روضات الجنات، مصدر سابق، جـ١ ص١٤٠، ١٤٢، وهذه الرواية الأخيرة يذكرها صاحب «الروض النسيم» في توبة «السلطان أدهم» والد إبراهيم، انظر: مخطوط دار الكتب الظاهرية رقم: ٣٨٦٦، ورقة: ٧٠/و

(٢) انظر- الحلية، مصدر سابق، جـ٨ ص٣٢

(٣) القشيرية، مصدر سابق، جـ١ ص٩٤

(٤) الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ، ٢٠٠٧م، جـ١ ص٣٦٩

(٥) الفتوحات المكية، تصحيح محمد قطة العدوي، ط. بولاق، ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، جـ٢ ص١٨

والمدينة اجتمع بطوائف من أئمة الرواية من طبقة سفيان الثوري وسليمان الأعمش وشعبة بن الحجاج وموسى بن عقبة، والمشهورين بالزهد من طبقة مالك بن دينار، وبعض القُصَّاص والمُذَكِّرين من طبقة يزيد بن أبان الرقاشي ونهَّاس بن قَهْم، واجتمع من أئمة العترة بأبي جعفر محمد الباقر[١].

وإبراهيم ثقة في روايته عند نقَّاد الرجال، وإن كان يظهر مع ذلك أنه ليس بالمكثر فيها تحملًا ولا أداءً، ويقول أبو نعيم الحافظ: «لم تكن الرواية من شأنه؛ فلذلك يقلُّ حديثه»[٢].

ما لبث إبراهيم أن استقرَّ في أرض الشام، يتنقل في قراها، لاسيما ثغورها ومواضع الرباط منها، مجاهدًا غازيًا أو متهيئًا لجهاد وغزو، ولم يزل استيطان الثغور دأب العُبَّاد والمنقطعين، حتى شاع اسم «الرباط» في معنى التكية أو الخانقاه، حيث يجتمع القوم الصوفية للذكر والتعبد والسلوك إلى الله وللجهاد في سبيله.

والمشهور أن إبراهيم قد وافاه أجله على حال من جهاد الروم سنة ١٦٢ هـ/ ٧٧٨-٩، وفي الرواية عن رفيق له في الغزو يقال له «أبو عبد الله الجوزجاني» أنه قال:

«ليلة مات اختلف إلى
الخلاء خمسًا أو ستًّا
وعشرين مرَّة يجدِّد
الوضُوء، فلمَّا أحسَّ بالموت
قال: «أَوْتِرُوا لي قوسي!»،
وقَبَض على قوسه فقَبَض الله
رُوحَه والقوسُ في يده![٣]».

وفي هذه الرواية عن الجوزجاني أنهم دفنوا إبراهيم «في بعض جزائر البحر في بلاد الروم»، وفي رواية تنسب إلى البخاري أنه مدفون في حصن من بلاد الروم

---

[١] انظر- تهذيب الكمال، مصدر سابق، جـ٢ ص٢٧-٢٨؛ حلية الأولياء، مصدر سابق، جـ٨ ص٤٠

[٢] حلية الأولياء، مصدر سابق، جـ٨ ص٤٠

[٣] انظر- ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، جـ٦ ص٣٤٩؛ المزي: تهذيب الكمال، مصدر سابق، جـ٢ ص٣٦

يقال له «سُوقِين»، وقيل: إن إبراهيم إنما دفن على ساحل البحر.

أما سيرة إبراهيم المتأخرة فهي تعيِّن له «مقامًا» على ساحل مدينة «جَبَلة»[١]، وتفصِّل لهذا المقام تاريخًا من خدمة الملوك والسلاطين له، وما أوقفوا عليه من الضِّياع والبساتين، وما أجروا على سَدَنته من الأرزاق والخيرات. ولم يزل «جامع إبراهيم بن أدهم» في جَبَلة قائمًا مشهورًا، ومقصُودًا بالزيارة معمُورًا، وفي جانبٍ منه ضريحٌ يتناقل الناسُ أنه «مقام إبراهيم».

بقي، أخيرًا، الكلام على أسرة إبراهيم، بمناسبة عناية السيرة الشعبية بهذا الجانب من حياته، وقد تقدَّم عنه أنه قال في بعض الروايات: «كان أبي من ملوك خراسان»، ولكنه في بعضها يقول: «كان أدهم رجلًا صالحًا»، وتجمع بينهما الحكاية الشعبية بأنه زاهد ساقته المقادير إلى ابنة ملك خراسان فتزوجها وآل الملك إليه، والثابت أنه كان من أهل الرواية، وأن إبراهيم أخذ عنه بعض حديثه، وفي حكاية عند أبي نعيم أنه جاءه الناعي يقول: «مات أبوك!»، فيكون إبراهيم قد أقبل على حياة الزهد في حياة أبيه.

وأما جدُّه فلا نكاد نعثر على ذكرٍ له في شيءٍ من المصادر، وإن اعتنت به السيرة الشعبيَّة المتأخرة وفصَّلت له تاريخًا. وقد أتى على ذكره أبو مطيع النسفي (ت: ٣١٨هـ/ ٩٣٠م) في رواية لم أقف عليها عند غيره، وهي قول أبي وهب المروزي (ت: ٢٠٩هـ): «كان أدهم خيرًا من إبراهيم، ومنصور خيرًا من أدهم، وكان لأدهم دار واسعة، فكان إذا خرب بيت تحول إلى آخر، حتى مات في آخر بيت بقي في الدار»[٢].

ولإبراهيم إخوة لم يفارقوا بلخ، وقد بعثوا إليه بمال جزيل من ميراث أبيه، فوهبه للغلام الذي حمله إليه.

---

[١] مدينة ساحلية في محافظة اللاذقية السوريَّة

[٢] النسفي: اللؤلئيَّات، الجزء الثاني منه (من الباب ٨٥ إلى الباب ١٠٧)، تحقيق محمد اليوبي، رسالة عالمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة، العام الجامعي ١٤٣٥-١٤٣٦هـ، برقم: ٤١٩، ص٢١٩

وله أختٌ اشتهر ولدها أبو يحيى محمد بن عبد الله الكناسي، من أهل الكوفة، مشارك في اللغة والأدب ومعرفة النجوم على مذهب العرب، قال السمعاني: «هو ابن أخت إبراهيم بن أدهم»[1]. توفي بالكوفة سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢-٣ م.

وله خالٌ قضى قتيلًا، ويقال: إن إبراهيم لقي قاتل خاله في مكَّة، فحمل نفسه على الصبر عنه[2].

* * *

*** خصائص المأثورات الصوفية عنه:**

تصوِّر حياة إبراهيم بن أدهم نمط النسك الروحي في الشطر الأول من المئة الثانية للهجرة، وهو تاريخ متقدم لم تكن فيه حال العباد والزهاد قد تجاوزت مسالكها العملية؛ لذلك لا يكاد المأثور عن إبراهيم يخرج عن جنس الآداب الدينية من المواعظ والأذكار.

ولمَّا مالت طائفة من المتأخرين إلى الوضع عليه نسبوا إليه ما يلائم حال زمانه وخصائص سلوكه؛ فكان عامة ما وضعوه حكايات وأقاصيص واستكثارًا من الكرامات والاجتماع برجال الغيب من الصالحين. وكان هذا مناسبًا لإبراهيم من وجه ومناسبًا، من وجه آخر، للطبيعة الشعبية لسيرته المتأخرة.

على هذه الآداب العملية تدور أقواله عند أبي نعيم، وقد أثبت له ترجمة حافلة وافية لا يكاد يخرج عنها المتأخرون من مصنفي طبقات الصوفية أو الأولياء: فيها صور من تقشف إبراهيم وشدته على نفسه، وعناية خاصة بتحري الحلال من الطعام، وفيها أنه ربما جاع فأكل الطين أو استفَّ الرمل أيامًا، وهو مع ذلك سخيٌّ مشهور بالسَّخاء، شديد النفور من الحاجة إلى الناس ويقول: «ما كانت لي مؤونة قط على أصحابي»، فإن أحسن إليه بعض عارفيه جازاه بإحسانه ويقول: «هكذا أدركتُ الناس يأخذون ويُعْطُون»، ولعل هذه بقية في نفسه من أخلاق الوجهاء.

ويظهر أن هذه الخصائص لزهد ابن أدهم هي التي جعلته قليل الحضور في نصوص العرفان المتأخر؛ إذ لا يحتمل كلامه ولا زمانه أن يضمن شيئًا من معاني التصوف الوجودي، وقد أثبت له ابن العربي في ختام «الفتوحات» وصيَّة له إلى

---

[1] انظر- السمعاني: الأنساب، تحقيق المعلمي اليماني وآخرين، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط. الأولى، ١٩٦٢-١٩٨٢م، جـ١١ ص١٥٠

[2] انظر- الحلية، جـ٨ ص١٤

بعض إخوانه، لا تخرج عن المعهود من كلامه، وهذه الوصايا كلها مكتوبة بلغة قريبة أو ظاهرية[١]. وكذلك يثبت الرومي حكاية أسماك البحر وطاعتها لأمر إبراهيم، يقارن بها بين ملك الدنيا وملك الآخرة، ويرشد بها المريدَ إلى حفظ قلبه نحو شيخه[٢]، وهي أسطورة متأخِّرة يوردها أيضًا صاحبُ «الروض النسيم».

[١] انظر- الفتوحات المكية، مصدر سابق، جـ٤ ص٥٤٥، وإن كان ابن العربي يقول عند كلامه على تعلق المقامات بعضها ببعض بضرب من التناسب (جـ٢ ص١٣٤): «وهي طريقة غريبة أشار إليها إبراهيم بن أدهم وغيره ~»، وكذلك يذكر، في غير موضع، حكاية مخاطبته من قربوس سرجه

[٢] انظر- مثنوي جلال الدين الرومي، ترجمة وشرح إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الكتاب الثاني، ص٢٧٠-٢٧١، ٢٨٠

المبحث الثاني
الروض النسيم: أصله العثماني ونقله إلى العربية

١ـ المصنف والناقل:

(أ) الدرويش حسن الرومي:

في ختام «الروض النسيم» تعريفٌ بمصنِّف السيرة، في أصلها التركي، الدرويش حسن الرومي، ويؤخذ منه أنه كان من جملة مماليك السلطان سليم العثماني، وأنه كان يلازم عساكره في الغزو والجهاد، فتمرَّس بالقتال وخبر الحروب وركوب الأخطار، ولما آلت السلطنة إلى السلطان سليمان سمع في أرض المغرب بالأمير خير الدين (= بربروس، ت: ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، وأنه مطاع من جنده مشتغل بجهاد الروم، فسيَّر إليه وفدًا يدعوه إلى الدخول في طاعته، وكان منه الدرويش حسن، فأجابهم خير الدين إلى ما جاءوا إليه، وفي طريق رجوعهم إلى القسطنطينية هاج بهم البحر وأظلم عليهم الليل، فتفرَّقت مراكبهم على غير هدى، فلم يطلع عليهم الصبح حتى بغتتهم سفن الروم من كل جانب، واقتتل الفريقان قتالًا شديدًا، أصيب فيه الدرويش حسن بشظية من نيران المدافع «فأخذت يديه ورجليه وعينه» أو «عينيه».

فلما أثخن بالجراح تضرع إلى ربه متوسلًا برجال الغيب من عباده المقرَّبين؛ فحضر إليه رجلٌ في ثياب خُضْر فغطَّاه وأخفاه عن العيون، فلم يشعر إلا وقد وصلت المراكب إلى القسطنطينية، فحمله أصحابه إلى بعض جوامع الدراويش يعيش معهم على ما يبعث به السلطان إليهم من النفقة، فمكث بينهم لا يقدر على شيء من ألم الجراح حتى أتاه في منامه بعض رجال الغيب فمسح على أوجاعه حتى سكنت فانتبه من نومه يحمد الله على السلامة. ثم اتفق له في بعض الليالي أن رأى في منامه شجرة وارفة يجلس في ظلالها جماعة عظيمة من المريدين، لا يكاد البصر يأتي على آخرهم، فسأل عنهم فقيل له: إنهم أصحاب إبراهيم بن أدهم وأتباع طريقته، فأحبَّ أن يكون معهم فقيل له: من آثر الآخرة على الدنيا فهو منهم.

فانتبه الدرويش حسن من نومه وقد انعقدت نيته على الوفاء بشرط تلك الطائفة الأدهمية، فخلع الدنيا من قلبه وأقبل بكليته على مولاه، فإذا شيخ يأتيه يعلمه ويرشده إلى الطريق، ولم يزل في صحبته حتى بلغ مراده على يديه، وأملى عليه الشيخ سيرة إبراهيم هذه التي دوَّنها في «الطِّرَاز المُعْلَم»، فلما عزم على فراقه سأله

الدرويش: من يكون؟؛ فإنه لا يَحْسُن بالمريد أن يجهل شيخه، فأخبره عندئذ أنه الخَضِر |، ثم غابَ عنه ولم يعُد إليه.

وقد كتب عنه هذه السيرة في القسطنطينية في ثلاث سنين وستة أشهر، وفرغ منها في شهر رجب من سنة ٩٦٣هـ، زمن السلطان سليمان القانوني (ت: ٩٧٢هـ/ ١٥٦٦م)[١].

(ب) ابن سِنَان القَرَماني:

أما ناقلُ «الطِّراز المُعْلَم» من اللسان التركي إلى اللسان العربي فهو أحمد بن يوسف بن سنان الدمشقي، المعروف بـ «القَرَماني»، من وجوه المؤرّخين والكتَّاب في بلاد الشام عند مطلع القرن الحادي عشر للهجرة[٢].

مولده في دمشق سنة ٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢م، لأبٍ وَفَد عليها لتولِّي نظر البيمارستان

---

[١] في «سِكَّة المَحْجَر» من «حي الخليفة» بالقاهرة زاوية تعرف بزاوية الشيخ حسن الرومي، وفيها ضريحه، شرع في إنشائها خاير بك فاتحة الولاة العثمانيين على مصر، واكتملت بعد وفاته زمن سليمان الخادم؛ فهو معاصر لصاحب «الطراز المعلم»، ولكن في تعيين شخصه خلاف:
(أ) فيرى حسن قاسم (المزارات الإسلامية، ط. مكتبة الإسكندرية، جـ٥ ص١٦) أنه هو حسن بن إلياس العجمي الذي ترجمه الشلي اليماني في «السنا الباهر» (نشرة المقحفي، ص٤٤١-٤٤٢)، وهو فقيه شافعي من تبريز، رحل إلى الأناضول حينًا، وجاور في مكة زمنًا، وانتسب إلى الطريقة القادرية، ويذكر قاسم أنه عثر في بعض الوثائق على ما يثبت قدومه إلى القاهرة، وهو ما لم يذكر في ترجمته، والرومي هذا متوفى سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م.
(ب) وتذكر سعاد ماهر (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ط. الأوقاف المصرية، جـ٥ ص٧٣-٧٤) حكاية عن صاحب هذا الضريح بلا إحالة على شيء من المصادر، خلاصتها أنه صوفي تركي مالت إليه أفئدة المصريين، فتغيرت عليه قلوب حسَّاده حتى سعوا به إلى السلطان الغوري، فأمر بإخراجه من الأزهر وضربه بالسياط وداسته حوافر الخيل حتى تمزق جسده؛ فدعا على الغوري أن يمزق الله ملكه وأن يهلك بحوافر خيله، فلم تمر بضع سنين حتى استولى العثمانيون على القاهرة؛ فآمن خاير بك عندئذ بكرامة الشيخ وشرع في بناء زاويته في حياته.
(جـ) وترجم المناوي، في طبقاته الكبرى (الكواكب الدرية، نشرة الجادر، جـ٣ ص٣٥٩، برقم: ٧٧٠. ونقله النبهاني في: جامع كرامات الأولياء، جـ٢ ص٤١)، لدرويش خلوتي من خلفاء الشيخ دمرداش يقال له: حسن الرومي، رحل إلى الروم زمنًا ثم عاد إلى القاهرة، وكانت بينه وبين الشعراني محبة أكيدة، وأرَّخ وفاته بسنة ٩٥٥هـ، وذكر أنه دفن في بيته بباب القوس.
ومهما يكن من شيء، فلا يوجد شاهد علمي على صلةٍ ما بين مصنف «الطراز المعلم» وصاحب هذه الزاوية القاهرية، على كثرة ما قيل فيه.

[٢] انظر في ترجمته- المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر، د. ت، جـ١ ص٢٠٩-٢١٠؛ البغدادي: هدية العارفين، طبع وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١-١٩٥٥م، جـ١ ص١٥٩؛ سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، جـ٢ ص١٥٠٥؛ الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط. ١٥، ٢٠٠٢م، جـ١ ص٢٧٥؛ كحالة: معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.، جـ٢ ص٢٠٨

والجامع الأموي، فاتهم بنهب بُسُطه وحُصُرِه وتخريب بعض ما وكل إليه النظر فيه، فحوكم وقضي عليه بالموت شنقًا، فمات سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٦٢م، ولولده يومئذ نحوٌ من سبعة وعشرين عامًا[1].

نشأ أحمد في دمشق، واشتغل بالكتابة والإنشاء، وكان لهذا مع ما عُرِف عنه من لطف المعشر ورقة الطبع أثر في أن توثقت صلاته بالحكام وقضاة القضاة حتى ولي كتابة وقف الحرمين ثم نِظَارته.

وأقبل، مع الكتابة ونظارة الوقف، على العناية بالتأريخ، فجَمَع تاريخًا ابتدأه بأول الخلق من عهد آدم، وهو المعروف بـ»تاريخ القرماني»، واسمه: «أخبار الدُّوَل، وآثار الأُوَل»، وطُبِع غيرَ مرَّة.

توفي القرماني في دمشق ليلة الجمعة، ٢٩ من شهر شوال من سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، ودفن بمقبرة الفراديس.

* * *

٢ـ الأصل والنقل:

(٢/ ١) مصادر الدرويش الرومي في تدوين السيرة:

وضع حسن الرومي كتابه «الطراز المعلم» باللغة التركية العثمانية، وهو مفقود لم يبق له إلا هذه الترجمة العربية. وتقدَّم أنه شحن كتابه بحكايات خرج بها عن معنى التاريخ إلى لون من الحكاية الشعبية، لا يرجع إلى شيء من المصادر التي اعتنت بسيرة إبراهيم بن أدهم، فمن أين أخذ الدرويش مادة سيرته هذه؟

أما هو فيُجِيبُ، كما تقدَّم، بأن هذه «السِّيرة والقصَّة الغريبة من تقرير الخضر»، وأنه مكث يستمليها عنه في القسطنطينية ثلاث سنين وستة أشهر، حتى فرغ منها في غرَّة شهر رجب الحرام من سنة ٩٦٣هـ، زمن السلطان سليمان القانوني.

والذي يظهر أن الرومي ما صنع إلا تدوين قصص كانت يومئذ شائعة في جماعة الصوفية، وعند طائفة من عامة الناس وخاصتهم ممن لهم في الصوفية عقيدة حسنة؛ تشهد لذلك إشارات أدرجها في كتابه تدل على حضور إبراهيم بن أدهم وسيرته وكراماته في الحياة العثمانية عندئذ:

(أ) فقد أثبت حكاية عن إبراهيم أن أسماك البحر تستشفي بإبرته التي كان يخيط

---

[1] انظر- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، حوادث سنة ٩٦٦هـ، جـ١٠ص٥٠٥

بها مرقعته، وأنهم تنازعوها فيما بينهم، حتى انتدبت سمكة لاستخلاصها منهم وإعادتها إلى إبراهيم، ولكن أصابتها في ذلك جراحات آلمتها، فسألت إبراهيم أن يدعو الله بأن يخلصها من أعدائها، وأن يجعل لها علامة في سائر نسلها، فأنبت الله لها إبرة في فمها وبدنها، وجعل لونها في حمرة الدم، ثم يقول الدرويش الرومي: «وهي موجودة في بحرنا هذا، وكل صياد تقع في شبكته يطلقها لحرمة السلطان إبراهيم، ولا أحد يقدر يأكلها، وسميت بهذا الاسم: **سمكة إبراهيم**»[١].

فيؤخذ من هذا شيوع القصة في جموع الناس، وأنهم أخذوها مأخذ الحقيقة حتى امتنع الصيادون عن التعرض لسمكة إبراهيم؛ فكانوا يردُّونها إلى البحر إن خرجت في شباكهم، وهذه الحكاية لا يرويها الرومي كرامة مفردة لإبراهيم، وإنما هي عنده آية أظهرها الله في حضور والدته التي أشفقت عليه ودعته أن يرجع إلى مملكته في خراسان، فلما عاينت خطابه الأسماك وشاهدت ائتمارها لكلمته علمت أن ولدها ما خرج من سلطان إلا إلى سلطان كوني أعظم؛ فيجوز، إذًا، أن يكون السياق كله معروفًا للناس يومئذ كما كانت الكرامة نفسُها معروفةً لهم.

(ب) ثم هناك خروج إبراهيم إلى جزيرة قبرص، وما أظهره من الكرامات بين أيدي ملكها ورهبانها، حتى إنهم وضعوا مرقَّعته في بعض كنائسهم يتبرَّكون بها، وكانوا يواصلونه بالتحف والهدايا في معتكفه في جبلة قبيل وفاته، فهذه القصة يظهر أن بابا حيدر، سادن مقام إبراهيم، كان على علم بها، فلما سمع بمسير العثمانيين لفتح قبرص بادر بإرسال راية «السلطان إبراهيم» إلى العسكر؛ فاستبشروا بها وتيسر لهم فتح الجزيرة[٢].

(جـ) وأيضًا تلك العناية المتصلة من السلاطين والملوك بضريح إبراهيم، منهم السلطان جقمق المملوكي، ثم السلاطين العثمانيون وحرص كل واحد منهم على أن يزيد أوقافه ويحسِّن أحواله، ويُجْري الجرايات والأرزاق على سدنته وخدَّامه، وقد سرد الرومي ذلك في سيرته[٣].

(د) يضاف إلى ذلك كله، أخيرًا، أن قصة أدهم، والد إبراهيم، قد حكاها ابن

---

[١] انظر- الروض النسيم، مخطوط الظاهرية رقم: ٣٨٦٦، ورقة: ١٧٣/و

[٢] انظر- المصدر السابق، الأوراق: ١٦٢/ظ- ١٦٤/و (حكاية خروجه للقاء ملك قبرص)، ١٨٠/و (إرسال بابا حيدر براية السلطان إبراهيم إلى الجنود العثمانيين عند توجههم إلى فتح قبرص)

[٣] انظر- المصدر السابق، الأوراق: ١٧٧-١٨٠

بطوطة في رحلته بما يكاد يطابق صاحب «الطراز المعلم»، وابن بطوطة من أهل القرن الثامن للهجرة متقدِّم على الكتاب وصاحبه، ثم نظمها كذلك زجَّال مصري هو القيم خلف الغياري على عين التفصيل الوارد في هذه السيرة، وهذا دليل قائم على رواج هذه السيرة وراء حدود الأناضول.

فهذه كلها شواهد تنطق بحضور إبراهيم في الثقافة الصوفية العثمانية، وأن الرومي حفظ جملة هذه الحكايات في سيرته، ودوَّن ما كان يتناقله الناس يومئذ من قصص وكرامات، لا يكاد يراجع في ذلك ترجمة تاريخية أو مصدرًا علميًّا إلا في شيء قليل من الحكايات والأقوال الفرعية إن ثبت أنها كانت في أصل الكتاب.

ويغلب على الظن أن المصادر الصوفية الفارسية ربما مثلت رتبة وسيطة بين إبراهيم التاريخي وإبراهيم الشعبي المتخيل؛ لما يشيع في كثير منها من تساهل في إثبات الحكايات غير المسندة على طريقة المتقدمين، وترجمة إبراهيم في «تذكرة الأولياء» للشاعر الفارسي فريد الدين العطار ربما لا تخلو من نصوص ممهِّدة لظهور سيرته الشعبية.

أما علة اختصاص إبراهيم بن أدهم بهذه العناية الشعبية المتأخرة فقد تلتمس له وجوه من التفسير:

إن إبراهيم رجل عربي، من عجل أو تميم، ولكن كأنه نزل في خواطر المتأخرين منزلة العجم، من حيث مولده ومقامه في بلخ من خراسان الكبرى، واجتمع له مع ذلك ثلاثة أمور: كونه من جملة تابعي التابعين؛ فله بذلك نصيب من الجلالة الدينية، وكونه منسوبًا في التراجم المبكرة إلى الملك والإمارة، ثم كونه خلع عنه هذه الإمارة وأقبل على طلب الآخرة؛ فبهذه الثلاثة تؤدي سيرة إبراهيم ثلاث رسائل:

إحداها- أن لأرباب المواجيد من الصوفية سلطانًا يضمحل إلى جواره سلطان أرباب الدنيا.

والثانية- أنه بهذه الطبيعة بديل إسلامي عما ترسخ في أهل خراسان من السيرة البوذية، وهو بديل من أنفسهم: من أهل بلدهم وملَّتهم.

والثالثة- أنه نداء مستمر للملوك أن يستحضروا صورة رجل منهم، ترك الدنيا في طلب الآخرة، فإن تعذر عليهم التحقق بمثل حاله فلا أقلَّ من التأسي به؛ فتكون تلاوة سيرة إبراهيم أشبه شيءٍ بموعظة ذوي السلطان.

ولعله من أجل ذلك استبقى الناسُ لسلطانهم إبراهيم آثارًا شاخصة لهم، فاستحدثوا في الشام له ضريحًا ليس له سند إلا أن سلطانًا من المماليك رآه في نومه، في حكاية لهم يثبتها صاحب هذه السيرة[١]، ثم اتخذوا على الضريح مسجدًا صارت تعرف به جَبَلة ويأوي إليها الناس؛ فعمرت بالزوَّار وأقيمت بها الأسواق. فأما أهل بلخ، هنالك في آسية الوسطى، فاتخذوا كذلك دارًا عريضة من صخر أبيض قريبًا من مسجدها الجامع، وتعارفوا فيما بينهم أنها دار السلطان إبراهيم، وقد رآها ابن بطوطة حين دخل المدينة في «رحلته»، وذلك بعد وفاة إبراهيم بنحو ستمائة سنة[٢].

ويظهر أن بعث إبراهيم على هذا النحو في خيال المتأخرين قد أحدث آثاره المرتجاة، وهي غاية هذه الحكايات أو بعض غايتها: فقد حكوا أن ملكًا من ملوك المغرب يقال له: «أبو يوسف يعقوب» خلع عن نفسه الملك وهاجر إلى المشرق، وذكر في كتاب له إلى صاحب دمشق أنه ترك ملك المغرب كما ترك إبراهيم مُلْكَ خراسان[٣]، وكذلك حكوا عن «بركة خان» من سلاطين المغول أنه امتنع من مصير المُلْك إليه أول الأمر اقتداءً بالسلطان إبراهيم[٤]. ثم عرفت حكايات إبراهيم طريقها إلى تركستان، فراج بين أهلها أن إبراهيم خرج يريد أرض الصين، وفي الطريق وقع في أسر رجل من شعب الكالموك، وبعد وفاته تزوج إبراهيم ابنته ورجع بها إلى مصر، وأقامت في داره تتعبد حتى وصلت إلى «التجلي النوري»[٥].

وفشا ذِكْر إبراهيم في العامة، وتلوَّن بملامح فارس والهند والصين، ومصر الشام والجزيرة، وكان السائر على طريق بيت المقدس يمر بشَجَرة إبراهيم المسمَّاة: «رمَّانة العابدين»[٦]، والصيَّاد في بحار آسية تخرج في شبكته «سمكة إبراهيم»

---

[١] انظر: المصدر السابق، ورقة: ١٧٧-١٧٨

[٢] انظر: رحلة ابن بطوطة، ط. أكاديمية المملكة المغربية، جـ٣ ص٤٣

[٣] انظر المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٢-٢٦٤

[4] cf. Vasary, I, "History and Legend in Berke Khan's Conversion to Islam," in D. Sinor (ed.), *Aspects of Altaic Civilization Ill*, Bloomington, 1990, p. 246

[5] cf. Sato, Tsugitaka, "The Sufi Legend of Sultan Ibrāhīm b. Adham," *Orient* 42 (2007), pp. 49-50

[٦] انظر- السبكي، تاج الدين: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط. الثانية، ١٤١٣هـ، جـ٣ ص٣٣٩-٣٤٠

فيردُّها إلى الماء إكرامًا للسلطان، والجنود العثمانيون يتوجهون لفتح قبرص فيقدِّمون بين أيديهم «راية السلطان إبراهيم»، والقوَّال في القاهرة يتلو في الناس عجائب السلطان وآبائه الملوك[١]:

فسبحان من اصطفى من الأوليا أدهم
جرى له حديث عجيب ألا يا لبيب افهم!

فكأن إبراهيم قدِّرت له حياة جديدة، وصارت سيرته تشغل خواطر الناس في الخيال أكثر مما شغلها شخصه في التاريخ.

ولم يكن بدٌّ لهذا البعث الجديد، في ثقافة آسية الوسطى على الخصوص، من أن يكون له صدًى في الفنون التصويرية، ويشتمل مجموع «مصوَّرات ريد المغولية *The Read Mughal Album*» في «مكتبة ومتحف مورغان» في مانهاتن على منمنمة تصوِّر إبراهيم بن أدهم في حضرة الملائكة[٢]:

وفي «متحف كليفلاند للفنون» في أوهايو منمنمة لإبراهيم تأتي إليه الملائكة

---

[١] انظر- القيم خلف الغياري: قصة ولي الله أدهم، مخطوط جامعة إرفورت الألمانية رقم: Orient A 2752، ورقة: ٢/ظ- ٣/و

[٢] نسخة رقمية من موقع المكتبة (روجع بتاريخ ٢٠٢٥/٨/١): https://www.themorgan.org/collection/treasures-of-islamic-manuscript-painting/85

بالطعام[١]:

(٢/ ٢) ملاحظة على منهج القرماني في النقل:

من شواهد هذه العناية كذلك المبادرة إلى نقل هذه السيرة إلى اللغة العربية غير بعيد من زمان تصنيفها، وأن يشتغل بنقلها كاتب مؤرخ من فضلاء عصره، وهو أحمد بن سنان القرماني.

يذكر القرماني أنه اطلع على «الطِّراز المُعْلَم» في أصله التركي، ووَقَف على ما فيه من فوائد جليلة في ترجمة إبراهيم بن أدهم، ويظهر أنه تحدث بذلك إلى جماعة من أصحابه فالتمسوا إليه نقله إلى اللسان العربي، «بأوضح بيان، بلا زيادة ولا نقصان»، وقد أجاب إخوانه إلى ما التمسوه وحرر لهم هذه الترجمة أو هذا النقل، ولكنه عاد بعد بضعة أسطر ليقول:

«اجتهدتُ: فما كان مُوَافِقًا
قَصَدْناه، وما كان مُخْتَلِفًا تَرَكْناه، وأَلَّفْتُ
هذا المُخْتَصَر[٢]»

وهذه عبارة غامضة من الناحية المنهجية، وتكاد تنقض ما طُلِب إليه من نقل

---

[١] نسخة رقمية من موقع المتحف (روجع بتاريخ ٢٠٢٥/٨/١): https://www.clevelandart.org/art/2018.160

[٢] مخطوط برلين، مجموعة وتسشتاين الثانية، رقم: ٣٩٤، ورقة: ١/ظ، وهذه المقدمة ساقطة من نسخة الظاهرية

الكتاب بلا زيادة ولا نقصان، فها هو يقر بأنه أعرض عن نقل بعض ما في الأصل، ويصف كتابه بأنه «مختصر».

وهذا هو الموافق لحال الكتاب نفسه:

- فقد صرَّح في مواضع بأنه زاد على ما في الأصل، كبحثه في ثبوت الكرامات عند أهل السنة، نقله من «طبقات» التاج السبكي، وكذلك نقل بعض الحكايات عن أبي السعادات اليافعي في «روض الرياحين»، ونصَّ على ذلك. وعلق على كثير من الحكايات بأنها «موجودة في الكتاب التركي»، أو «وجدها في كتاب الدرويش حسن الرومي»؛ وهو تعقيب يؤخذ منه أن الرجل ليس في مقام الناقل المجرَّد من لسان إلى لسان، وإنما يتصرَّف فيه تصرُّفًا يحتاج معه إلى تمييز الأصيل من الدخيل على الأصل.

- ويذكر بعضَ الحكايات فيختصرها ويشير إلى أنها قد تقدمت، ويغلب على الظن أنه وجدها في الأصل مكررة فلم يشأ أن يعيد ذكرها في كتابه، وربما كان تصنيف السيرة، أو تلقيها عن الخضر، في ثلاث سنين وستة أشهر سببًا في اضطراب بنائها وضعف سبكه الفني أو الحكائي، وتكرار بعض المواضع فيه على وجه لا يخلو من تناقض أو اختلاف؛ فما تقدم من قول القرماني: «فما كان موافقًا قصدناه وما كان مختلفًا تركناه» يجوز أن يحمل على ما اتفقت سياقته أو اضطربت فحُكِي غيرَ مرَّة على وجوه لا تتفق، لا على معنى انتقاء ما يقبله دون ما لا يقبله من الروايات.

أما خاتمة الكتاب التي فيها الكلام على الدرويش حسن الرومي وحياته، وتأريخ تأليفه هذه السيرة، ومدة ذلك؛ فلا يخفى كون ذلك من كلام القرماني.

٣- الأصولُ الخطِّية للسيرة:

توجد للروض النسيم كثير من النسخ الخطية، موزعة في خزائن المخطوطات، منها:

- **النسخة الأولى**: هي المخطوط رقم: ٣٨٦٦ بالمكتبة الظاهرية في دمشق، من الورقة ٦١ إلى ١٨٤ منه، مسطرتها ١٩ سطرًا، وصفحة الغلاف منها مكتوب عليها: «السلطان بن أدهم»، ثم كتب تحت ذلك بقلم حديث: «سيرة السلطان إبراهيم بن أدهم، تأليف: الدرويش حسن الرومي، يشتمل على قصص عجيبة وأخبار ملفَّقة غريبة»، وناسخها مراد بن مصطفى الشهير بابن فرفرة، فرغ من كتابتها في التاسع

عشر من ذي القعدة سنة ١٠٩٧ للهجرة؛ فهي بذلك أقدم النسخ المعتمد عليها في هذه النشرة.

وهي مع ذلك أتم الأصول وأسلمها من النقص الكبير الحاصل في سائر نسخ الكتاب، وهو سقط أتى على معظم سيرة «السلطان أحمد» جد إبراهيم؛ فاختلَّ سياقها وبدا غير مفهوم، ثم أتى على معظم سيرة الدرويش حسن الرومي الملحقة بآخر الكتاب على أهميَّتها، ولكنَّ النسَّاخ تنبهوا إلى السقط هاهنا فتركوا مكانه بياضًا، وعلى هذه النسخة وحدها الاعتماد في معرفة هذين الموضعين من نص الكتاب.

- **النسخة الثانية**: هي المخطوط رقم: ٣٩٤ من مجموعة وتسشتاين الثانية Wetzstein II، بمكتبة برلين الحكومية، عدد لوحاتها ٧٦ لوحة، تتبعها قصائد وأدعية خارجة عن الكتاب، مسطرتها ١٩ سطرًا وتنقص عن ذلك أحيانًا، وبعض الكلمات والعبارات فيها مكتوبة بمداد أحمر. وناسخها هو عبد القادر ابن الحاج علي الأرمنازي، فرغ منها نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى من سنة ١١٢٥ للهجرة.

ولم ينص على عنوان للكتاب في صفحة غلافها، وإن كان سيرد في موضعه من كلام المصنف في خطبة الكتاب.

- **النسخة الثالثة**: هي المخطوط رقم: ٣٩٥ من مجموعة وتسشتاين الثانية، بمكتبة برلين الحكومية، عدد لوحاتها ١٥٦ لوحة، مسطرتها ١٣ سطرًا، وكتبت بعض العبارات وفواتح بعض الحكايات فيها بمداد أحمر. ناسخها هو عمر بن عثمان بن عمر بن علي مالي القدسي الحنفي، وفرغ من كتابتها في نهار جمعة من شهر ذي القعدة الحرام، من سنة ١١٥٢ للهجرة.

وفي صفحة العنوان من هذه النسخة:

«هذا كتاب: الطراز المعلم، قصة السلطان
إبراهيم بن أدهم، ومصنفه العبد الفقير إلى ربه
المنان، أحمد ابن يوسف سنان، رحمه الله تعالى».

ولعلَّ هذا ما دعا بعض المصحِّحين إلى أن كتب على صفحة قبل غلاف النسخة: «ترجمة كتاب الطراز المعلم في مناقب السلطان إبراهيم بن أدهم، لابن سنان، وأصله تركي لدرويش حسن. صح»، ويظهر أنه تعليق حديث.

- **النسخة الرابعة**: هي مخطوط رقم: Yah. Ar. 559، بالمكتبة الوطنية لفِلَسطين المحتلة، بالقدس الشريف، عدد لوحاتها ١٣٤ لوحة، على رأس كلِّ لوحةٍ منها حِكَم ومواعظ مكتوبة بمداد أحمر، مسطرتها ١٥ سطرًا. عرَّف ناسخها نفسه بأنه: «ناجي ابن عبد القادر زين العابدين، الشهير بزين العابدين اللاذقي وطنًا»، تلميذ الشيخ عبد الفتاح المحمودي اللاذقي، وأرَّخ فراغه منها بنهار الأحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ١٣١٠ للهجرة.

وعنوان الكتاب على غلاف هذه النسخة: «هذا كتابُ: الروض النسيم، والدر اليتيم، في مناقب السلطان إبراهيم بن أدهم، قدَّس الله سرَّه ونَفَعنا بعُلُومه، آمين».

- **النسخة الخامسة**: هي المخطوط رقم ٧٣ من مجموعة دايبر الثانية Daiber Collection II، بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية من جامعة طوكيو، وما هي إلا قطعة صغيرة من الكتاب في ٣٥ لوحة، مسطرتها ١٣ سطرًا، مكتوبة بخط عريض، كثيرة الأغلاط والتحريف، ولعل أهميتها أنها تخالف سائر النسخ في صياغة بعض الفقرات.

وكتب في أولها عنوان الكتاب، ثم تعريف بالقرماني وبعض مصادر ترجمته الحديثة؛ والصفحة كلها مضافة بغير قلم الأصل، بمعرفة المكتبة أو مالك النسخة الأستاذ محمد رياض المالح، وقد كتب على هامش اللوحة الثانية أنها من كُتُبه، بعين القلم الذي كتبت به بيانات صفحة الغلاف.

المبحث الثالث
معالم السيرة الشعبية لإبراهيم

تفارق السيرة الشعبية حياة إبراهيم التاريخي بدءًا من نسبه؛ فهو عند أصحابها: إبراهيم بن أدهم بن أحمد، ورث عن آبائه الولاية والصلاح كما ورث عنهم الملك والسلطان، فتنقسم هذه السيرة إجمالًا إلى ثلاثة أجزاء: الأول: سيرة السلطان أحمد، جد إبراهيم، والثاني: سيرة السلطان أدهم، ثم الثالث: سيرة السلطان إبراهيم بن أدهم.

(أ) سيرة السلطان أحمد[1]:

أما السلطان أحمد فكان ملكًا على بلخ، وكان مع ملكه عابدًا زاهدًا ورعًا، يأكل من عمل يده ومما تدره قطعان غنمه من الألبان والأصواف، وله كلاب يضع في أعناقها أطواقًا من ذهب؛ تنبيهًا للناس على أن «الدنيا جيفة، وطلابها كلاب!»، وكان في بستانه زهرة عجيبة، ما تزال ناضرة سائر السنة، لا يصيبها بلى أو ذبول، وكان يحرص عليها أن يعدو عليها شيء من الحيوان، فشاء الله أن يغفل عنها حراسها يومًا فأكلها بعض الكباش، فظل شاخص البصر ثابت القدم، لا يقدر أن يفارق مكانه، فجمع السلطان أحمد من عنده من أهل المعرفة فما اهتدى أحدٌ منهم إلى تفسير حال ذلك الحيوان.

وهُم في ذلك إذ دخل عليهم شيخ غريب يأمرهم أن يأتوا إلى الكبش بنعجة، فلما فعلوا زال عنه قيده ولكن النعجة نفسها أصابها ما أصابه من قبل، ولبثوا طويلًا حتى رجع الشيخ إليهم، فأمر السلطان أن يذبحها ويأكلها وحده لا يشركه فيها أحد، فلما فعل نزلت به حيرة وذهول، وانقطع عن الطعام والشراب، وساءت حال مملكته، فلما طال عليه الأمر واضطربت الرعية رجع الشيخ إليه مرَّة ثالثة فأمره بالزواج، فتزوج ابنة الملك كُشْتُمر، وأولدها غلامًا سمَّاه: «أدهم»، ثم توفِّي عنها.

أما الشيخ الغريبُ فما كان إلا الخَضِر |، وأما سرُّ ما جرى من أمر الزهرة والحيوان والسلطان فليس في الحكاية بيانٌ له، وإن كان يؤخذ من عموم سياقها أنها زهرة اختزنت فيها عطايا إلهية، فلم تزل تنتقل في بواطن آكليها حتى استقرت في

[1] مخطوط الظاهرية ٣٨٦٦، ورقة: ٦٢-٦٩/ظ

السلطان إبراهيم.

(ب) سيرة السلطان أدهم[1]:

كان لأدهم، عند وفاة أبيه السلطان أحمد، نحوٌ من عشر سنين، وكان أبوه قد أخذ في تنشئته على العلم والصلاح، حتى مالت إليه أفئدة خاصة الناس وعامتهم، فلما ولي الملك استقامت له الأمور، واجتمعت عليه القلوب، وحسنت سيرته واشتهر أمره فأقبل عليه ولاة الأقاليم يبايعونه، ومكث كذلك عشر سنين، ثم اتفق أن كان جالسًا في بعض شرفات قصره إذ سمع درويشًا يذكر هوان الدنيا وما عليه أهلها من الحسرة والحرمان، فانفعل لموعظته، وخرج مما هو فيه هائمًا على وجهه.

وبَيْنا هو يسير على غير هدى اشتد به الجوع فرأى تفاحة في نهر، فمد يده فأخذها وأكل نصفها، ثم عاتبته نفسه أن استحلَّ أكلها ولا يعرف من أين جاءت، فتتبع ماء النهر حتى اهتدى إلى بستان، فقيل له: إنه مملوك لملك خراسان[2]، ولابد أن يستحلَّه إن أراد راحة نفسه، فتوجه إلى ملك خراسان فقال له الوزير: إن الملك وهبه ابنته، ودله على قصرها، فلما عرفت خبره مالت إليه بقلبها، وعرضت عليها الزواج بها، فتحير أدهم وهمَّ أن يخرج من المدينة، لولا أن رأى رسول الله × في المنام يأمره أن يرجع إلى الملك فيسأله أن يزوِّجه ابنته.

فلما سمع الملك قوله عزم على قتله، فتلطف الوزير وأشار بأن يطلب إليه من الجواهر الغوالي ما يعجز عنه الملوك، فينصرف عن طلبه مع حقن دمه وحفظ سمعة الملك أن يقال: إنه سفك دم مسكين من رعيته، ولكن أدهم خرج إلى ساحل البحر ودعا ربه فأخرج له السمكُ ما شاء من الكنوز، فلما عاينها الملك تبيَّن صدقه وأنه مأمور من النبي × كما قال، فزوَّجه ابنته، واتخذه له عضدًا في تدبير مملكته، حتى وافاه أجله.

---

[1] المصدر السابق، ورقة: ٦٩/ظ-٨٠/و

[2] كذا، ولا تشير الحكاية إلى أن أدهم قد عرفه الملك أو تعرف هو إليه، لا عند قدومه عليه ولا بعد زواجه من ابنته، وأقرب ما يحمل عليه سياقها أن يكون هذا قد جرى بعد زمان طويل من تركه خراسان حتى تناساه أهلها، وإن كانت مع ذلك لا تخلو من ضعف في بنائها السردي. وتقدم عن ابن بطوطة أن أدهم سبق صلاحُه إمارتَه، وأنه كان فقيرًا سائحًا ثم تزوج ابنة الملك، ولما لم يكن له ولد انتقل السلطان إلى إبراهيم من جهة جده لأمه

(جـ) سيرة السلطان إبراهيم[١]:

كان أدهم قد وُلِد له «إبراهيم»، وتهيأ للملك في حياة أبيه، فلما صار إليه أمر المملكة مضى على سنة آبائه من حسن السيرة، وتزوج ورزق ولدًا يقال له «محمود»، ثم خرج للصيد والقنص فمالت قبته عن رأسه فأصابه حر الشمس، فغلب عليه خوف عذاب الآخرة، وعزم على الخروج من ملكه كما صنع أبوه من قبل، فألقى ثيابه إلى راع صادفه في طريقه، وأخذ سيفه وفرسه وانطلق هائمًا على وجهه في البلاد.

وقد شبَّ ولده محمود وسعى إلى لقاء أبيه، فاجتمع به عند البيت الحرام، فلما أحسَّ إبراهيم انشغال قلبه بولده دعا الله أن يقبضه إليه؛ فما لبث أن مات بعد ليالٍ، وحاز أبوه بذلك نصيبًا من مقام إبراهيم | حين همَّ أن يذبح ولده إسماعيل.

كذلك اهتدت إليه أمه، وكانت قد بلغتها وفاة ولده محمود، فأعدت جندها وغلمانها وخرجت للقائه، فلم تزل تنتقل من مكان إلى مكان حتى اجتمعت بإبراهيم في جبلة قبيل وفاته، وأرادته على أن يعود إلى ملكه وأن يتعبد ربه بإصلاح حال مملكته مما أصابها من أرباب الفساد، فتلطف لها إبراهيم وألان لها المقال، وأوصاها بأن تتخذ له مقامًا وأن تجري على عُمَّاره وزُوَّاره أرزاقًا فيكون له بذلك ذِكْرٌ حسن على مر الأيام، ثم وافاه أجله إلى رحمة الله تعالى، وصنعت أمه ما أوصاها به، ثم قفلت راجعة إلى خراسان فماتت عند اللاذقية، وفيها ضريحها.

ويتتبع المصنف تاريخ مقام إبراهيم في جبلة، واتصال العناية به من السلاطين والملوك، لاسيما العثمانيون منهم.

يظهر، من هذا الإجمال، أن الإطار العام لسيرة إبراهيم هو إطار غير تاريخي، وكذلك كل ما يتعلق بجده وأبيه، وكثير مما ساقه المصنف من حكايات الكرامات ورحلات إبراهيم إلى السند وقبرص هو خيال قصصي، من جنس الملاحم الشعبية، لا سند له من الأصول أو المرويات الأولى عن إبراهيم، وهذا كله يمثل أكثر هذه السيرة، وإن كان الأمر لا يخلو من أقوال وحكايات فرعية تثبتها المصادر، أو يمكن ردُّها إلى ما تثبته المصادر بشيء من التصرُّف. هذا وإن الظن لقويٌّ في أن تكون مأثورات إبراهيم المعهودة في المدوَّنات الصوفية الأولى مما أضيف على أصل

[١] مخطوط الظاهرية، من ورقة: ٨٠/و إلى آخر النسخة

السيرة من ناقلها إلى العربية، وأن تحريرها الأول في اللسان التركي كان خلوًا منها.

* * *

*** تأثير السيرة البوذية:**

لعلَّ إ. جولدتسيهر أن يكون أسبق المستشرقين إلى التنبيه على التشابه بين سيرة إبراهيم بن أدهم وحياة بوذا[١]، وأن حكاية توبة إبراهيم إنما وضعها القُصَّاص على وجه المحاكاة للمأثورات البوذية الشائعة يومئذ في بلخ وما حولها، وكانت البوذية قد ترسخت في خراسان قبل الفتح الإسلامي لها بنحوٍ من ألف سنة؛ فكان تراثها الديني، لا محالة، ذائعًا معروفًا، لاسيما حياة منشئها وبدء تحوله من حياة الإمارة إلى طلب «الاستنارة الروحية».

وقد تقدَّم أن سيرة إبراهيم لها نظائر في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية، في زمانه وبعده في تراجم المتأخرين عنه، وأن الخيال الشعبي قد صنع لبعض هؤلاء نحوًا مما صنعه لإبراهيم، ولكن يظهر، مع ذلك، أن بعض تفصيلات توبة إبراهيم وأبيه أدهم تذكِّر بالحكايات البوذية على الخصوص، ولا يبعد أن تكون مستعارة منها أو متأثرة بها[٢]. وقد كانت قصة بوذا معروفةً في الكتب العربية وشاعت فيها

---

[١] انظر- العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص١٦١، وأيضًا: "The influence of Buddhism upon Islam", Journal of the Royal Asiatic Society, 36, 1904, pp. 132-33. ويقول نيكولسن: «من الواضح أن أسطورة إبراهيم عندما صار متصوفًا صيغت على نمط قصة بوذا»، وأحال على جولدتسيهر، كما يَلْمَح في بعض الروايات عنه بعض خصائص التصوف الهندي أو السرياني، انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مقالة: «إبراهيم بن أدهم»، جـ١ ص٣٣

[٢] راجع حياة بوذا مستفادة من مصادرها السنسكريتية في: Woodville Rockhill W., the Life of Buddha, London, 1884, ch. III, IV، وانظر أيضًا: Thomas, Edward J, Life of Buddha: as legend and history, London, 1931, ch. III, IV, V.، وخلاصة عنها عند تومولين: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة علي أدهم، القاهرة، دار المعارف، الفصل الخامس: «البوذا»؛ وانظر- قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، مراجعة أحمد ناجي القيسي ومحمد مصطفى حلمي، دمشق، دار نينوى، ط. الأولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١٨٦-١٩٤، حيث يثبت ملخصًا لتحول جوتاما وشروعه في طلب «نيرفانا»، وهو يميل إلى تقرير هذا التشابه، وانظر أيضًا- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثالث، القاهرة، دار المعارف، ط. الثامنة، ١٩٨٠م، جـ٣ ص٤٠٨-٤١٠، وهو يحامي عن نفيه ويشك في أصل قصة توبة إبراهيم وفي أن يكون له أو لأسرته شيء من ملك خراسان.

باسم قصَّة: «بلوهر وبوذاسف»، وسياقها عند ابن بابويه (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م) لا يترك شكًّا في كونها هي السيرة الهندية أو معتمدة عليها[١].

هذا التشابه، لا محالة، يزداد وضوحًا في الصورة المتأخرة عن إبراهيم، وقد أُضِيفت إليها ملامح وتفصيلات لها نظائر مماثلة في الحكايات الهندية، والذين عابوا على جولدتسيهر مسلكه هذا أخذوا عليه اعتماده على رواياتٍ متأخِّرة توسَّعت في نسج أسطورة إبراهيم[٢]، وهذا يشبه أن يكون تسليمًا بما انتهت إليه هذه السيرة من محاكاة موروثات خراسان ومأثورات آسية الوسطى، وأنها إن تكن سلمت من هذه المؤثرات في نشأتها الأولى فلم تسلم منها في تطورها الأخير.

الأمر، إذًا، يتعدَّى واقعة أن وليًّا سمع هاتفًا إلهيًّا من فوقه أو من قربوس سرجه، وقد رأى بعض الدارسين أن ردَّها عندئذ إلى قصة موسى | وسماعه الخطاب عند الشجرة أولى من التماسها في المأثور الهندي[٣]؛ ذلك أن قصة إبراهيم في صياغتها الموسَّعة عند المتأخرين تقارن بنظيرتها الهندية من حيث إطارها الكلي ثم بعض تفصيلات وقائعها، وأما الهواتف الغيبية في عمومها فلم تزل جزءًا من ثقافة السلوك الصوفي، لاسيَّما حكايات التوبة لجماعة من الأولياء كانت لهم سابقة غفلة أو معصية.

---

(١) انظر- كمال الدين وتمام النعمة، نشرة غفاري، ط. ٥، قم، ١٤٢٩هـ، جـ٢ ص٦٠٣-٦٦٧، وعنه المجلسي في: بحار الأنوار، بيروت، ط. ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، جـ٧٥ ص٣٣٨-٤٤٤

(٢) انظر- النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مرجع سابق، جـ٣ ص٤٠٩-٤١٠

(٣) انظر- الشيبي، كامل: الصلة بين التصوف والتشيع، ط. الثالثة، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٢م، جـ١ ص٣٥١

نتائج البحث

انتهى البحث إلى نتائج منها:

١- احتفظت سيرة إبراهيم المتأخرة ببعض الروايات ذات الأصول التاريخية في المصادر الأولى، ولكن الإطار الحكائي العام لها هو خيال شعبي متأخر لا سند له في تراجم إبراهيم التاريخية.

٢- زعم مصنف السيرة في أصلها العثماني أنه تلقاها عن الخضر، ولكن الشواهد العلمية قائمة على أن عناصرها كانت رائجة في ألسنة العامة، وأن المصنف إنما دوَّن ما كان متداولًا عن إبراهيم في عصره.

٣- توسعت أسطورة إبراهيم بن أدهم توسعًا كبيرًا، فصار لها نسخ عربية وهندية وصينية، وتلونت بثقافات الأناضول وآسية الوسطى، وخرجت عن التدوين المكتوب إلى الفنون التصويرية فرسمت لإبراهيم منمنمات تصور بعض أحواله الروحية.

٤- لا تخلو حكايات إبراهيم الشعبية من آثار علقت بها من الثقافات المحلية الآسيوية، لا سيما البوذية منها.

٥- اختصاص إبراهيم بن أدهم، دون سائر أهل عصره، بالأساطير المتأخرة مما لم يزل في حاجة إلى تأمل وتفسير، وإن كان يظهر أن ما كان عليه من الملك ثم انتسابه إلى بلخ وخراسان، مع مكانته الروحية وتقدم عصره، يظهر أن كل ذلك جعله صالحًا لأن يكون قدرة لمسلمي آسية يغنيهم عما ترسخ في ثقافتهم من مأثورات دينية سابقة للإسلام.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر المخطوطة:

- **الغياري، القيِّم خلف**: قصة ولي الله أدهم، مخطوط جامعة إرفورت الألمانية، رقم: Orient A 2752

- **القرماني، ابن سنان**: الروض النسيم والدر اليتيم في مناقب السلطان إبراهيم:

* مخطوط دار الكتب الظاهرية في دمشق، رقم: ٣٨٦٦

* مخطوط مكتبة برلين الحكومية، مجموعة وتسشتاين الثانية، رقم: ٣٩٤

- **النسفي، أبو مطيع**: اللؤلئيَّات، الجزء الثاني منه (من الباب ٨٥ إلى الباب ١٠٧)، تحقيق محمد اليوبي، رسالةُ عالِميَّة غير منشورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، العام الجامعي ١٤٣٥-١٤٣٦هـ

ثانيًا- المصادر المطبوعة:

- **الأصبهاني، الحافظ أبو نعيم**: حلية الأولياء، القاهرة، ط. السعادة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

- **البخاري، محمد بن إسماعيل**: التاريخ الكبير، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، بمراقبة محمد عبد المعيد خان، د. ت

- **ابن بطوطة، أبو عبد الله اللواتي الطنجي**: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار)، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ، ١٤١٧هـ

- **البغدادي، إسماعيل باشا البابانى**: هدية العارفين، طبع وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١-١٩٥٥م

- **البغدادي، أبو بكر الخطيب**: تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

- **الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي**: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طهران-قم، مكتبة إسماعيليان، ١٣٩٠هـ

- **الذهبي، الحافظ شمس الدين**: سير أعلام النبلاء، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- **الرومي، مولانا جلال الدين**: المثنوي، ترجمة وشرح إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

- **الزركلي، خير الدين**: الأعلام، دار العلم للملايين، ط. ١٥، ٢٠٠٢م
- **السبكي، تاج الدين:** طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط. الثانية، ١٤١٣هـ
- **سركيس، يوسف إليان**: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م
- **السلمي، أبو عبد الرحمن**: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
- **السمعاني، أبو سعد**: الأنساب، تحقيق المعلمي اليماني وآخرين، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط. الأولى، ١٩٦٢-١٩٨٢م
- **ابن شاكر، الكتبي**: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣-١٩٧٤م
- **ابن العربي، محيي الدين**: الفتوحات المكية، تصحيح محمد قطة العدوي، ط. بولاق، ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م
- **ابن عساكر، أبو القاسم**: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
- **العطار، فريد الدين**: تذكرة الأولياء، تعريب محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م
- **ابن العماد الحنبلي**: شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
- **القشيري، أبو القاسم**: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م
- **القمي، ابن بابويه**: كمال الدين وتمام النعمة، نشرة غفاري، ط. ٥، قم، ١٤٢٩هـ
- **ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا**: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط. الأولى، ١٤١٧-١٤٢٠هـ
- **كحالة، عمر رضا**: معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.
- **المجلسي، محمد باقر**: بحار الأنوار، بيروت، ط. ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- **المحبي، محمد أمين الحموي الدمشقي**: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي

عشر، بيروت، دار صادر، د. ت

- **المزي، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج**: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٩٨٠-١٩٩٢م

- **المقريزي، تقي الدين**: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

- **الهجويري**: كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ، ٢٠٠٧م

ثالثًا- المراجع العربية:

- **توملين، أ. ف**: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة علي أدهم، القاهرة، دار المعارف، ط. الثانية، ١٩٩٤م

- **جولدتسيهر، إجناتس**: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م

- **الشيبي، كامل**: الصلة بين التصوف والتشيع، ط. الثالثة، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٢م

- **غني، قاسم**: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، مراجعة أحمد ناجي القيسي ومحمد مصطفى حلمي، دمشق، دار نينوى، ط. الأولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

- **النشار، علي سامي**: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الثالث، القاهرة، دار المعارف، ط. الثامنة، ١٩٨٠م

رابعًا- المراجع الأجنبية:

- **Duka, T.,** "The influence of Buddhism upon Islam", Journal of the Royal Asiatic Society, 36, 1904

- **Sato, Tsugitaka**, "The Sufi Legend of Sultan Ibrāhīm b. Adham," *Orient* 42 (2007): 41–54

- **Thomas, Edward J**, Life of Buddha: as legend and history, London, 1931, ch. III, IV, and V

- **Vasary, I,** "History and Legend in Berke Khan's Conversion to Islam," in D. Sinor (ed.), *Aspects of Altaic Civilization Ill*, Bloomington, 1990

- **Woodville Rockhill W.,** the Life of Buddha, London, 1884, ch. III, IV

خامسًا- مواد رقمية:

- منمنمة تصوّر إبراهيم بن أدهم في حضرة الملائكة، نسخة رقمية من موقع مكتبة ومتحف مورجان- مانهاتن (روجع بتاريخ ٢٠٢٥/٨/١):
https://www.themorgan.org/collection/treasures-of-islamic-manuscript-painting/85

- منمنمة تصوّر إبراهيم بن أدهم تأتي إليه الملائكة بالطعام، نسخة رقمية من موقع متحف كليفلاند للفنون- أوهايو (روجع بتاريخ ٢٠٢٥/٨/١):
https://www.clevelandart.org/art/2018.160